الفصل الثالث

التنبؤ بالغيب عند العرب

كانت الكهانة عند العرب أيام الجاهلية، فكان هناك الكهان والعرافون، وإن كانوا أحياناً يفرقون بين الكهانة والعرافة؛ فيقولون إن الكهانة مختصة بالأمور المستقبلة، أما العرافة فخاصة بالأمور الماضية. ومهما يكن من الأمر فإن المراد بهما هو التنبؤ واستطلاع الغيب. وكان العرب يعتقدون أن للكاهن القدرة على كل شيء، فكانوا يستشيرونه في كل أمر جلل من أمورهم ويتقاضون إليه في خصوماتهم، ويستطبونه في أمراضهم ويستفتونه في ما أشكل عليهم، ويطلبون منه تفسير رؤاهم ويستنبئونه عن مستقبلهم. ولهذا كله كانت منزلة الكاهن عندهم في أعلا المراتب، والكهان عندهم هم أهل العلم والفلسفة والطب والقضاء والدين، وكان هذا هو شأن الكهان جميعاً في سائر الأمم القديمة.

والرأى أن الكهانة ليست أصيلة عند العرب بل جاءتهم من بعض الأمم المجاورة وأغلب الظن أن الكلدانيين هم الذين نقلوا الكهانة إلى بلاد العرب مع ما نقلوه إليها من علم التنجيم. ومما يؤيد ذلك أن الكاهن يسمى في العربية أيضاً "حازي" أو "حزّاء" وهو لفظ كلداني معناه الناظر أو الرائي أو البصير، وهو يدل عندهم على الحكيم والنبي. وقد اقتبس العرب بعد ذلك لفظ الكاهن من اليهود الذين نزحوا إليهم على أثر ما أصابهم من

النكبات في أورشليم وخصوصاً بعد أن دمرها طيطس عام ٧٠ للميلاد.

والكهانة بوجه عام تطلق على أنواع مختلفة من التنبؤ بالغيب، لأنها تشمل الناظرين في الأجسام الشفافة من المرايا وطساس الماء وقلوب الحيوان وأكبادها وعظامها وأهل الطرق بالحصى والحبوب من الحنطة والنوى، وأهل الزجر والفأل، والمنبئين عن الغيب باستنباء الطيور والسباع، وأهل الرياضة السحرية وأصحاب الفراسة ونحوهم.

وقد جعل العرب الكهانة على أصناف: منها ما يتلقونه من الجن، فإن الجن كانوا يصعدون إلى جهة السماء فيركب بعضهم بعضاً إلى أن يدنو الأعلى بحيث يسمع الكلام فيلقيه إلى الذي يليه، إلى أن يتلقاه من يلقيه في أذن الكاهن فيزيد فيه. فلما جاء الإسلام ونزل القرآن حرست السماء من الشياطين وأرسلت عليهم الشهب، فبقي من استراقهم ما يتخطفه الأعلى فيلقيه إلى الأسفل قبل أن يصيبه الشهاب. وإلى ذلك يشير الله تعالى بقوله: إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب".

والصنف الثاني ما يخبر به الجني من يواليه بما غاب عن غيره مما لا يطلع عليه الإنسان غالباً، أو يطلع عليه من قرب منه لا من بعد. والثالث ما يستند إلى ظن وتخمين وحدس. والصنف الرابع ما يستند إلى التجربة والعادة فيستدل على الحادث بما وقع قبل ذلك.

ويقولون إن الصنف الأول قد بطل بمجيء النبي صلى الله عليه وسلم وحرم الكهان بعد بعثة النبي من كشف الغيب، وقد جاء في بعض الروايات أن لا كهانة بعد النبوة، فلا يجوز تصديق الكهنة والإصغاء إليهم، لأن هذا من

دلالات الكفر. وجاء في الحديث: "من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد". ويقولون عن الصنف الثاني إنه لا يبعد وجوده.

وقد أفاضوا الكلام عن الصنف الرابع الذي يستند إلى التجربة والعادة وقالوا إن هذا نظير الأسباب التي يستدل بها الطيب والفلاح والطبائعي على أمور غيبية بما تقتضيه تلك الأدلة مثال الطبيب إذا رأى الجرح مستديراً حكم بأنه عسر البرء، وإذا رآه مستطيلاً حكم بأنه أسرع برءاً. وكذلك ما علم به الربان من أمور تحدث في البحر والريح بعلامات تدل على ذلك من طلوع كوكب أو غروبه أو علامات أخرى فيقول يقع مطر أو يحدث ريح كذا، أو يضطرب البحر في مكان كذا ووقت كذا. وكذلك الفلاح يرى علامات فيقول هذه الشجرة يصيبها كذا وتيبس في وقت كذا، وهذه الشجرة لا تحمل العام وهذه تحمل.

وذهبوا أكثر من ذلك فقالوا إن هذا أمر لا يختص بالإنسان بل كثير من الحيوان يعرف أوقات المطر والصحو والبرد وغيره كما جاء في كتب الحيوان. والفرس الرديء الخلق إذا رأى اللجام من بعيد نفر وجزع وعض من يريد أن يلجمه علماً منه بما يكون بعد اللجام. وهذه النملة إذا خزنت الحب في بيوتها كسرته نصفين علماً منها بأنه ينبت إذا كان صحيحاً وأنه إذا انكسر لا ينبت. والقط يدفن أذاه ويغطيه بالتراب علماً منه بأن الفأر تهرب من رائحة فيفوته الصيد، ويشمه أولاً فأن وجد رائحته شديدة غطاه بحيث يواري الرائحة والجرم، وإلا اكتفى بأيسر التغطية. وهذا الأسد إذا مشى في لين سحب ذنبه على آثار رجليه ليغطيه علماً منه بأن المار يرى مواطئ رجليه ويديه.

وجاء في كتب التاريخ أن الكهان العرب قد عرفوا نبأ سيل العرم قبل وقوعه ونصحوا أولى الأمر في البلاد بالعمل على اتقاء شره. وكان هذا في عهد عمرو بن عامر الذي تولى رياسة ولد قحطان. إذا كان أخوه "عمران" كاهناً عقيماً وزوجته "ظريفة الخير" كاهنة من حمير، فرأى عمران أن قومه سوف يمزقون كل ممزق فأنبأ أخاه بما رأى في كهانته، وكان هذا أول نبأ عرف عن سيل العرم. وبينما كانت ظريفة الخير نائمة ذات يوم إذ رأت سحابة غشيت أرضهم فأرعدت وأبرقت، ثم هوت إلى الأرض فلم تصب شيئاً إلا أحرقته. ففزعت ظريفة لذلك وأدركها رعب شديد وأتت زوجها الملك وهي تقول إن ما رأته قد أذهب عنها النوم إذ رأت غيماً أبرق وأرعد طويلاً، ثم أصعق فما وقع على شيء إلا احترق فما بعد هذا إلا الغرق.

فلما رأوا ما داخلها من الروع سكنوا من جأشها حتى ثابت إلى نفسها. ثم دخل زوجها غحدى حدائقه ومعه جاريتان، فبلغها ذلك، فأمرت وصيفاً لها أن يتبعها، وانطلقت إلى زوجها حيث كان، فاعترضتها ثلاث مناجذ – وهي دواب باليمن – منتصبات على أرجلهن، واضعات أيديهن على أعينهن، فأخفت ظريفة عينها وجلست، وطلبت إلى وصيفها أن يبلغها متى انصرفت هذه المناجذ، فلما أبلغها ذلك، انطلقت مسرعة إلى زوجها، فاعترضها خليج الحديقة ووثبت منه سلحفاة وانقلبت على ظهرها، وحاولت أن تعتدل على غير جدوى، فاستعانت بذنبها وحثت التراب على بطنها وجنبها وقذفت بولاً. فهوت الكاهنة إلى الأرض حتى إذا عادت السلحفاة إلى الماء، انطلقت ظريفة إلى زوجها في الحديقة، وكان النهار قد انتصف واشتد حره فإذا الشجر

يتكفأ من غير ريح. فلما أقبلت على زوجها، ألفت الجاريتين على الفراش فاستحيا زوجها حين رآها، وأمر الجاريتين بمغادرة الفراش لتأخذ زوجه مكانهما فكهنت هذه وقالت: "والنور والظلماء والأرض والسماء، إن الشجر لتألف، وليعودن الماء كما كان في الدهر السالف" فسألها عمن أنبأها بذلك، فقالت: "أخبرتني المناجذ، بسنين شداد يقطع فيها الولد والوالد". قال ما تقولين؟ قالت: "أقول قول الندمان لهفاً، قد رأيت سلحفا، تجرف التراب جرفاً، وتقذف بالبول قذفاً، فدخلت الحديقة، فإذا الشجر يتكفأ" قال عمرو وما ترين ذلك؟ قالت: "هي داهية ركيمة، ومصيبة عظيمة، بأمور جسيمة" قال وما هي ويلك؟ قالت "أجل أن لي فيها الويل، وما لك فيها من نيل، فلى ولك الويل، مما يجيء به السيل" فألقى نفسه عن الفراش وقال لها: ما هذا يا ظريفة؟ قالت: "هو خطب جليل، وحزن طويل، وخلف قليل" قال عمرو وما علاقة ما تذكرين؟ قالت: "اذهب إلى السد فإذا رأيت جرذا (فأراً) يكثر بيديه في لسد الحفر، ويقلب برجليه من الجبل الصخر، فأعلم أن الحفر حُفِر، وأن قد وقع بنا الأمر". قال وما هذا الأمر الذي يقع؟ قالت: "وعد من الله نزل، وباطل بطل، ونكال بنا نكل، فبغيرك يا عمرو فليكن الثكل" فانطلق عمرو إلى يحرسه، فإذا بفأر يقلب برجليه صخرة لا يقوى على قلبها خمسون رجلاً ..! فكر إلى زوجته، وأنبأها الخبر وهو يقول:

أبصرت أمراً عادني منه ألم ... وهاج لي من هوله برح السقم
من جرذ كفحل خنزير الأجم ... أوتيس صرم من أفاريق الغنم
يسحب صخراً من جلاميدا العرم ... له مخاليب وأنياب قضم
ما فاته سحباً من الصخر قضم ... كأنما يرعى خضيراً من سلم

فقالت ظريفة إن منشواهد ما أنبأتك به، أن تأخذ مجلسك بين الجنتين ثم تأمر بزجاجة توضع بين يديك فإن الريح تملأها من تراب البطحاء، مع أن الجنان مظلة، لا تدخلها شمس ولا ريح ...! فلما فعل امتلأت الزجاجة بعد قليل من تراب البطحاء، فانطلق إليها وأنبأها بما جرى، وسألها: متى ترين هلاك السد؟ .. قالت: في سبع سنين. قال ففي أبها يكون !... قالت لا يعلم هذا غير الله، ولو أوتى أحد علم ذلك لكنته، ولا تأتي عليك ليلة طوال السنين السبع، إلا ظننت أن السد يبيد في غدها أو في أثنائها. ورأى عمرو في منامه سيل العرم، وقيل له إن آية ذلك أن ترى الحصباء قد ظهرت في سعف النخل، فلما استيقظ تحقق من صدق ما رأى، فأدرك أن البلاء واقع والخراب نازل. فكنتم الأمر واعتزم التخلص من ممتلكاته، وانتوى الهجرة مع ولده من أرض سبأ، ولكنه خشى أن يفتضح أمره، فيستنكر الناس تصرفه، فاحتال الأمر حتى أهانه ابنه وضربه ابنه على مرأى من ضيوف له، تنفيذاً لاتفاق عقد بينهما ... فصاح: وأذلاه ...! وأقسم ألا يقيم بهذا البلد وباع كل ما يملك، ثم استفتى أخاه الكاهن في البلد الذي يرحل إليه فقال الكاهن: "من كان منكم ذا هم بعيد، وحمل شديد ومزاد جديد، فليلحق بقصر عمان المشيد" فكان الذي نزلوه أزد عمان فقال: "ومن كان منكم ذا حاجة ووطر، وسياسة ونظر، وصبر على أزمات الدهر، فليلحق ببطن مر" فكان الذين سكنوه خزاعة ... إلى آخر ما جاء في هذه القصة.

وتبين لنا القصة السابقة أسلوب الكهان في تكهناتهم فقد كان لكهان العرب لغة خاصة بهم تمتاز بتسجيع خاص يعرف بسجع الكهان

مع تعقيد وغموض، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في مثله: هذا من سجع الكهان فجعل السجع مختصاً بهم بمقتضى الإضافة. ولعل الكهان كانوا يلجأون إلى هذا الأسلوب من القول تمويها على الناس بعبارات تحتمل أكثر من وجه كما يفعل العرافون في الوقت الحاضر.

وقد اشتهر في بلاد العرب أيام الجاهلية كثير من الكهان والكواهن وأقدمهم شق بن أنمار، وسطيح بن مازن، وحكاياتهما أشبه بالخرافات منها بالحقائق. ويقال إن شقا هذا كان نصف إنسان له يد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة. وأن سطيحا كان لحماً يطوى كما يطوي الثوب، لا عظم فيه إلا الجمجمة ووجهه في صدره ولم يكن له رأس ولا عنق، وكان في عصره من أشهر الكهان. وقد ولد في يوم واحد هو وسطيح وكانا من المعمرين. ومن الكهان الذين نبغوا إبان النهضة العربية التي سبقت الإسلام: خنافر بن التوأم الحميري وسواد بن قارب الدوسي. وكان من الكهان من ينسب إلى بلده أو قبيلته كقولهم كاهن قريش وكاهن اليمن وكاهن حضر موت وغيرهم.

أما الكواهن من النساء فإنهن عديدات منهن طريفة كاهنة اليمن وهي أقدمهن وزبراء الكاهنة وغيرهما.

وكان هناك أيضاً إلى جانب الكهنة فئة أخرى من المتنبئين بالغيب وهم العرافون، وقد كان منهم كثيرون في بلاد العرب وذكرهم الشعراء في أشعارهم فقد قال الشاعر:

فقلت لعراف اليمامة داوني ... فإنك إن داويتني لطبيب

وقال الآخر:

جعلت لعراف اليمامة حكمه وعراف نجد إن هما شفياني
فقالاً: شفاك الله والله ما لنا بما حملت منك الضلوع يدان

وعراف اليمامة هو رباح بن عجلة، وعراف نجد هو الأبلق الأسدي. وليس هنا اتفاق بصدد التفرقة بين الكهانة والعرافة. ولعل الذي عليه رأى الأغلبية هو أن العرافة لا تشمل الكشف عن الغيب متى اتصل بالماضي أو الحاضر وإنما تقتصر على ما ارتبط بالمستقبل وحده.

ومهما يكن من الأمر فإن العرب تسمى الكاهن عرافاً أيضاً وبعضهم يطلق هذا اللفظ على الطبيب. والعراف عند العرب هو الذي يزعم أنه يعرف الأمور بمقدمات يستدل بها على نتائجها، أي هي الاستدلال ببعض الحوادث الخالية على الحوادث الآتية بالمناسبة أو بالمشابهة الخفية التي تكون بينهما، أو الاختلاط أو الارتباط على أن يكونا معلولين لأمر واحد، أو يكون ما في الحال علة لما في المستقبل كالشيء يسرق فيعرف المظنون به السرقة، وتتهم المرأة بالريبة فيعرف من صاحبها، ونحو ذلك من الأمور.

ومن أمثلة العرافة أنه كان في زمن هارون الرشيد عراف اعمى، يستدل عن المسئول عنه بكلام يصدر عن أحد الحاضرين عقب السؤال، فسرقت من خزانة الخليفة أشياء، فاستدعاه هذا وأمر الحاضرين بأن يلتزموا الصمت عقب السؤال، فأمر العراف يده على البساط فوجد نوى تمر، فقال إن المسئول عنه در وياقوت وزمرد في سفط ... فسأل الرشيد عن مكانه فقال العراف إنه في بئر، فوجدوه كذلك ... !! وسئل العراف في ذلك، فقال وجدت نوى تمر، وطلع النخلة أبيض وهو كالدر،

ثم يكون بسراً وهو أخضر، وهو لون الزمرد، ثم يكون رطباً وهو أحمر، وهو لون الياقوت !! فلما سألتم عن مكان المسروق، سمعت صوت دلو فعرفت أنه في بئر. فاستحسن الرشيد فراسته وأعطاه مالاً جزيلاً.

ويدخل في باب التنبؤ بالغيب الفأل والطيرة والعيافة وكلها أشياء ترمي إلى الكشف عن حوادث المستقبل استناداً على كلام يسمع من الغير اتفاقاً، أو استناداً على أصوات الحيوانات وحركاتها وسائر أحوالها، أو استناداً إلى مصحف يفتح فيكشف عن معنى عفواً، وقد جرى هذا في غير المصحف من كتب الشيوخ كديوان الحافظ والمثنوي ونحوهما.

والفأل أمر يدعو إلى الإقدام بعكس الطيرة فإنها تدعو إلى التشاؤم أو الإحجام. أما العيافة فهي زجر الطيور أي التحدث بالغيب عند سنوح طائر أو حيوان. وكان العرب يزجرون الطير أو الحيوان أي يصيحون به أو يرمونه بحجر فإن ولاهم في طيره ميامنه سموه سانحاً وتفاءلوا به، وإن ولاهم مياسره سموه بارحاً وتشاءموا منه فالسانح مرجو عند العرب والبارح هو المخوف، وإن كان بعضهم يتطير بالسانح ويتيامن بالبارح، فأهل نجد يتيامنون بالسانح وأهل التهائم بالضد من ذلك ..

وكان العرب في الجاهلية يكثرون من الزجر ثم شاع الفأل بعد ذلك في الإسلام، وقد نهى النبي عن الطيرة فقال: " لا طيرة ولا هامة ولا سفر" وكان عليه الصلاة والسلام يحب الفأل. قيل إنه حين هاجر إلى المدينة ودنا منها سمع منادياً يقول: يا سالم فقال لأصحابه سلمنا، ولما دخلها سمع آخر يقول يا غانم فقال غنمنا.

وقد عرف عن عمر بن الخطاب أنه كان من الذين يجعلون من الألفاظ التي تقال عفواً موضع تفاؤل أو تشاؤم، فمن ذلك أن رسولاً من ميدان نهاوند أقبل عليه ذات يوم فسأله عن اسمه، فقال: قريب فسأله عن أبيه فقال: ظفر ففال عمر متفائلاً ظفر قريب إن شاء الله ولا قوة إلا بالله.

وللعرب قصص وأخبار طويلة في الفأل والطيرة والعيافة؛ من ذلك ما حكاه المدائني قال: خرج رجل من لهب – ولهم عيافة – في حاجة له ومعه سقاء من لبن، فسار صدر يومه ثم عطش فأناخ بعيره ليشرب، فإذا الغراب ينعب فأثار راحلته ومضى، فلما أجهده العطش أناخ ليشرب فنعب الغراب فأثار راحلته، ثم في الثالثة نعب الغراب وتمرغ بالتراب؛ فضرب الرجل السقاء بسيفه فإذا فيه أسود ضخم، ثم مضى فإذا غراب على سدرة فصاح به فوقع على سلمة فصاح به فوقع على شجرة فانتهى إليه فإذا تحت الشجرة كنز فلما رجع إلى أبيه قال له: ما صنعت؟ قال سرت صدر يومي ثم أنخت لأشرب فإذا الغراب ينعب قال: أثِره وإلا لست بأبني قال: أثرته، ثم أنختته لأشرب فإذا الغراب ينعب، قال: أثره وإلا فلست بابني قال: أثرته، ثم انختته لأشرب فنعب الغراب وتمرغ في التراب قال: اضرب السقاء وإلا فلست بابني قال: فعلت فإذا أسود ضخم، قال: ثم مه؟ قال: ثم رأيت غراباً واقعاً على سدرة، قال: أطره وإلا فلست بابني قال: أطرته ثم وقع على سلمة. قال أطره وإلا فلست بابني، قال: أطرته فوقع على شجرة قال: أخبرني بما وجدت فأخبره ...

وذكر التنوخي في كتابه نشوار المحاضرة عن أبي الحسين قال: اجتزت

أنا وأبو طاهر بن نصر القاضي بشارع القاضي، نقصد دار قاضي القضاة أبي الحسين في علته التي مات فيها لنعوده فإذا بثلاثة من الأعراب ركبان فشال أحدهم رأسه وقد سمع غراباً ينعب على حائط دار أبي الحسين قاضي القضاة فقال للنفسين اللذين خلفه: إن هذا الغراب ليخبرني بموت صاحب الدار: فقال له الآخر: أجل إنه ليموت بعد ثلاثة أيام. فقال الآخر: نعم ويدفن في داره. فقلت: أسمعت ما قالوا؟ قال نعم هؤلاء أجهل قوم. افترقنا فلما كان في ليلة اليوم الرابع سحراً ارتفعت الصيحة بموت قاضي القضاة أبي الحسين، فذكرت قول الأعرابي وعجبت وحضرنا جنازته ودفن في داره. فقلت لأبي طاهر أرأيت أعجب من وقوع مقالة الأعرابي بعينها إيش هذا؟. فقال: لا والله ما ادري ولكن تعال حتى نسأل عنهم ونقصدهم ونستخبر منهم من أين لهم ذلك. فقال: كنا أياماً نسأل عنهم وعن حلتهم من البلد فلا نخبر، إلى أن أخبرونا أنهم نزول حلة من بني أسد بباب حرب فقصدناهم، فقلنا: هل فيكم من يبصر الزجر؟ فقالوا: اجل ثلاثة إخوة في آخر الحي يعرفون ببني القائف، ودلونا على أخبيتهم فجئنا فصادفنا أصحابنا بأعيانهم ولم يعرفونا فأخبرناهم بما سمعناه منهم وسألنهم عنه فقالوا: إن وغيرنا نعرف نعيباً للغراب بعينه لا ينعبه في موضع إلا مات ساكته مجرباً على قديم السنين في البوادي لا يخطئون، ورأينا ذلك الغراب نعب ذلك النعب الذي نعرفه. فقلنا للآخر: كيف قلت إنه يموت بعد ثلاثة أيام؟ قال: كان ينعب ثلاثاً متتابعات ثم يسكت ثم ينعب قلنا على هذا فحكمت بذلك. فقلت للآخر وكيف إنه يدفن في داره؟ قال: رأيت الغراب يحفر الحائط بمنقاره ورجليه ويحثو على نفسه التراب فقلت إنه في داره.

وذكر عن كثير عزة أنه خرج يريد مصر، وكانت عزة بها، فلقيه أعرابي من نهد فقال: أين تريد؟ قال: أريد عزة بمصر، قال: ما رأيت في وجهك قال: رأيت غراباً ساقطاً فوق بانة ينتف ريشه فقال: ماتت عزة! فانتهى ومضى فوافي مصر والناس منصرفون من جنازتها فأنشأ يقول:

فأما غراب فاغتراب وغربة وبان فيين من حبيب تعاشره

وقد اشتهر من بين العرب كثيرون في الزجر والعيافة كعراف اليمامة والأبلق الأسدي والأجلح وعروة بن يزيد وغيرهم ممن لا يحصى عدداً.

وكان هناك من بين العرب من أنكر الزجر ونحوه وذم من اغتربه واعتمد في أمره عليه منهم ضابئ بن الحرث وقد قال في ذلك:

وما عاجلات الطير تدنى من الفتى نجاحاً ولا عن ريثهن يخيب
ورب أمور لا تضيرك ضيرة وللقلب من مخشاتهن وجيب
ولا خير فيمن لا يوطن نفسه على نائبات الدهر حين تنوب

ومنهم النابغة وقد روى أنه خرج هو زياد بن سيار يريدان الغزو فرأى زياد جرادة فقال: حرب ذات ألوان فرجع ومضى النابغة. ولما رجع غانماً قال:

يلاحظ طيرة أبداً زياد لتخبره وما فيها خبير
أقام كأن لقمان بن عاد أشار له بحكمته مشير
نعلم أنه لا طير إلا على متطير وهو الثبور
بلى شيء يوافق بعض شيء أحايينا وباطله كثير

وقال النبي صلى الله عليه وسلم وقد سئل عنها: "ذاك شيء يجده

أحدكم فلا يصدقه". وقال شراح الحديث إنه ليس في سنوح الطير وبروحها ما يقتضي ما اعتقدوه وإنما هو تكلف بتعاطي ما لا أصل له، إذ لا نطق للطير ولا تمييز فيستدل بفعله على مضمون معنى فيه، وطلب العلم من غير مظانة جهل من فاعله.

وإنه على الرغم من ذلك فقد بقيت من هذا بقايا في كثير من المسلمين. ومن العيب أن بعض القبائل العربية في الجاهلية كانت لا تزوج بناتها إلا لمن اتصف بصفات خاصة منها معرفته للزجر والعيافة حيث إن هذه المعرفة عندهم كانت من الصفات العلية.

وكانت عند العرب غير ما ذكرنا وسائل أخرى يتوسلون بها إلى معرفة الغيب كالطرق بالحصى والحبوب من الحنطة والنوى والخط في الرمال. فكان الكاهن إذا سئل عن حادثة أخرج حصيات قد أعدها عنده فيطرق بعضها ببعض فيلوح له حينئذ ما يعلم به جواب السؤال. أما الخط في الرمال فكان الكاهن يأمر غلامه أن يخط خطوطاً على رمل أو تراب ويكون ذلك منه في خفة وعجلة لا يدركها العدو الإحصاء، ثم يأمره فيمحوها خطين خطين وهو يقول "ابني عيان. أسرعا البيان" فإن كان آخر ما يبقى منها خطين فهو آية النجاح وإن كان قد بقى خط واحد فهو علامة الخيبة والحرمان.